ابن رأس غنمة ومصادر كتابه: مناقل الدرر ومنابت الزهر

قاسم السامرائي

جامعة لايدن

منذ خمس عشرة سنة تقريبا لفت الاستاذ **كستر** - من الجامعة العبرية بالقدس انتباهي إلى مخطوطة كتاب مناقل الدرر ومنابت الزهر لابن رأس غنمة الاشبيلي (جستر بيتي ٤٢٥٤) فقد كان أحد المصادر التي استخدمها في تعليقاته وشروحه النافعة على تحقيق الاستاذ **ماكس شلوسنجر** لكتاب أنساب الأشراف للبلاذري (القدس ١٩٧١). وتفضل فزودني بصورة مصورة (فوتوستات) من نسخة جستر بيتي، وحثني على تحقيقها ونشرها، لأنها في رأيه: **"تحتوي على معلومات جمة ومفيدة حول الدولة الأموية في الشام، وهي مفيدة أيضا لأن مؤلفها ينقل كثيرا من مصادر لم تصل إلينا بعد"**.

يكاد الكتاب ينحصر في تاريخ الدولة الأموية في الشام إلا أن مؤلفه- تقليدا لأسلوب المؤرخين التقليديين - بدأ كتابه بسيرة النبي - عليه الصلاة والسلام -وأردفها (باختصار) بسيرة الخلفاء الراشدين لكي يخلص إلى الموضوع المعيّن الذي أراده في كتابه- تاريخ بني أمية- حتى يكون كتابه متسقا تاريخيا في ذهن القارئ. بيد أنه أدرك أن هناك من قد يتهمه بالميل للامويين، فاستدرك في المقدمة: **"وربما توهم متوهم أن اقتصاري على مدة بني أمية إنما هو رغبة فيهم وميل إليهم دون سواهم وتفضيل لهم على ما بعدهم من الدولة العباسية، وليس كذلك، غير أن مدة بني أمية يمكن لقصرها حصرها، ويقرب لانقطاعها أمرها (....) فإن تنسأ الله الاجل وبلغ الامل جمعت من أخبار الدولة العباسية ما تبلغه القوة وتنتهي إليه القدرة إن شاء الله"**. ولما انتهى من أخبار الأمويين لم يتوقف عندها بل حاول أن يسجل أيضا بعض أخبار الدولة العباسية، فاختصر أخبارها اختصارا شديدا، فلم يزد على بضعة سطور خصصها لأخبار كل خليفة عباسي حتي بداية حكم الناصر لدين الله اعتمادا على ما أورده المسعودي في كتاب مروج الذهب وابن الجوزي في المنتظم.

نسخ الكتاب:

إضافة إلى نسخة جستر بيتي التي نسخها الحاج بن أبي عيّاد في يوم الجمعة، التاسع عشر من ربيع الثاني سنة ١١٩٣ هجرية (١٢٩ ورقة)، فإن هناك أيضا نسختين آخريين من الكتاب محفوظتين في الخزانة الحسنية الملكية بالرباط. أولهما برقم: **٢٤٦١ (١٢٣ ورقة)**، والثانية برقم: ٢٢٤٦ (١٣٧ ورقة) وكلتاهما غير مؤرختين، وقد عاينتهما

THE ARABIST. BUDAPEST STUDIES IN ARABIC 15-16 (1995)
https://doi.org/10.58513/ARABIST.1995.15-16.31

شخصيا في شهر إبريل سنة ١٩٨٨ فظهر لي من دراسة الورق والحبر أن الأولى كتبت بخط مغربي حديث على ورق مغربي أسمر سميك يعود إلى القرن الثالث عشر (التاسع عشر م) وقد استعمل فيها الحبر الملون وزخرفت بداية طرتها بالذهب والأحبار الملونة. أما تجليدها فمغربي حديث من الورق المقوى المغلف بالجلد وفي وسط كل دفة ميدالية مضغوطة وملونة باللون الأخضر الغامق وتحيط بكل ميدالية مقرنصات مذهبة.

أما الثانية: فقد كتبت على ورق أوربي أبيض تظهر فيه الخطوط المتوازية والعلامة المائية التي نستدل منها أن الورق من صناعة القرن الثاني عشر (الثامن عشر). وقد تعرضت هذه النسخة إلى عوامل البلي والتهرؤ وفعل الأرضة، وبخاصة في أوراقها الأولى، فأثرت على بعض النص، وهذه أيضا كتبت بخط مغربي واضح. أما تجليدها فهو من الورق المقوى أثرت فيه عوامل البلي وخروم الأرضة.

الظاهر من دراسة النسخ الثلاث أنها تعود إلى أصل واحد لاشتراكها كلها في الأخطاء النسخية الكثيرة واشتراكها في البياضات التي كانت - على ما يبدو- في الأصل الذي لم يصل إلينا بعد. وقد أدت مقارنتي بين النسخ الثلاث إلى أن نسختي الدار الحسنية الملكية منسوخة إحداهما من الأخرى، أي: أن النسخة الأولى قد نسخت من الثانية وأن نسخة جستر بيتي ونسخة الدار الحسنية الثانية منسوختان من أصل ضاع. ومع هذا فإن الحاج بن أبي عيّاد (ناسخ نسخة جستر بيتي) لم يكن ناسخا فحسب بل حاول أن يكمل النص الساقط فأضاف بعض الكلمات في البياضات مما يتطلبه السياق الكلامي. إضافة إلى كل هذا فإن النسخ الثلاث تشترك بظاهرة أخرى وهي تتمثل في أن النسخة التي أنتسخت منها نسخة جستر بيتي ونسخة الدار الحسنية كانت ولا بد منسوخة من أصل يحمل بعض الحواشي والتعليقات فأدخلها ناسخ أصل جستر بيتي والدار الحسنية الثانية في النص، فتواترت هذه التعليقات في النسخ الثلاث جميعا فمثلا:

في ورقة ١١٩ ب (جستر بيتي): **"فكان بنو العباس يفخرون بهذه الآية ويقولون أن العباس كان الذي شاءالله. ذكر هذه في أول كتاب مناقل الدرر ومنابت الزهر"**

وفي ورقة ٦٧ أ: **"ذكر (ابن) الجوزي في فطن الأذكياء ..."** وأورد حكاية صعصعة بن صوحان والمغيرة بن شعبة[1] ثم أتبعها ب**"وكتبه الفقيه أبو عبيد الله ابن الفقيه أبي يحيى المواق"**.

[1] كتاب الأذكياء، القاهرة ١٣٠٤ هجرية، صفحة ٩٨.

من كل هذا يظهر أن تسلسل النسخ الثلاث هو كما يأتي:-

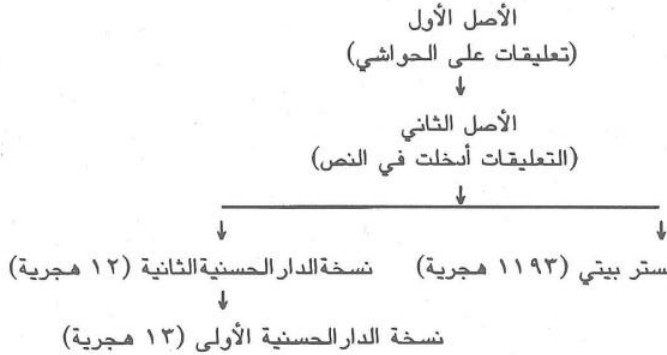

من هو ابن رأس غنمة:

تحمل مخطوطة جستر بيتي اسم: "الفقيه الجليل أبي الوليد إسماعيل بن محمد المعروف بابن رأس غنمة الأشبيلي"، على أنه مؤلف الكتاب.

أما مخطوطة الدار الحسنية الأولى فتحمل اسم المؤلف: "أبي الوليد سيد<ي> إسماعيل أبي محمد المعروف بابن رأس غنمة".

وتحمل النسخة الثانية اسم: "الفقيه الجليل أبي الوليد إسماعيل بن محمد المعروف بابن رأس غنمة الأشبيلي".

فإذا أخذنا بعين الاعتبار أن الأخطاء التي حدثت في نسخة الدار الحسنية في اسم المؤلف من أخطاء النسخ فإن النسخ الثلاث تشترك في اسم: **"أبي الوليد إسماعيل بن محمد المعروف بابن رأس غنمة الأشبيلي"** وتنسب الكتاب إليه. والسؤال الآن: من هو ابن رأس غنمة ؟؟

لم نعثر بعد في كتب التراجم الأندلسية أو المغربية على ترجمة لأبي الوليد إسماعيل بن محمد المعروف بابن رأس غنمة. وكان الاحتمال أن ابن عبد الملك المراكشي (المتوفى سنة ٧٠٣ هجرية/١٣٠٣) قد ترجم له في كتاب **"الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة"** إلا أن الجزء الثاني الذي يحتوي على تراجم من اسمه **"إسماعيل"** لم يصل إلينا بعد. ومع هذا فقد أورد ابن عبد الملك المراكشي ترجمة **"لأحمد بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن خلف الحضرمي"** من أهل أشبيلية يكنى أبا العباس ويعرف بابن

رأس غنمة، وقال المراكشي: "روي عن أبي الحسين بن خروف النحوي وأبي حفص بن عمر. ورحل الى المشرق في حدود الخمس والتسعين وخمسمائة مرافقا الشهيد أبا بكر ابن لحمد الكتاني (....) فأدى فريضة الحج ولقيا هناك بقايا الشيوخ، فأخذا عن طائفة منهم. واستصحبا فوائد جمة وغرائب كتب لا عهد لأهل الأندلس بها، فاستنسخاها هناك (...). وكان أبو العباس هذا شديد الشغف بالعلم قطع دهره في صحبة أهله ولازم أبا حفص ابن عمر طويلا (...) وتوفى رحمه الله بأشبيلية في حدود ثلاث وأربعين وستمائة"[٢].

وذكر ابن عبدالملك المراكشي في ترجمة أبي بكر محمد بن أحمد الكتاني الأشبيلي أنه: "رحل الى المشرق حاجا مرافقا أبا العباس بن أحمد بن رأس غنمة". وأن الكتاني "استشهد على شربطرة سنة ثمان وستمائة"[٣].

أما في ترجمة حفص بن عمر قاضي أشبيلية فقد أورد المراكشي: "روي عنه (...) وابن رأس غنمة (...) وتوفى بأشبيلية (...) عام ثلاث وستمائة"[٤].

هذه هي كل الشذرات التي تمكنا من العثور عليها حتي الآن وما علينا إلا أن نستقرئ الإشارات التي أوردها ابن رأس غنمة في كتابه لتحديد عصر المؤلف وبالتالي نسبة الكتاب. جاء في ورقة ٦٢ ب: "أخبرني الفقيه أبو القاسم بن فرقد"، وهو محمد بن عامر بن فرقد الأشبيلي، "كان فقيها مفتيا عاقدا للشروط (...) وتوفى بأشبيلية يوم الجمعة لخمس بقين من شوال سبع وعشرين وستمائة"[٥].

وفي ورقة ١٠١ ب في دعاء عمر بن عبدالعزيز، قال المؤلف: "أملاه علينا أبو الحسن بن خطاب في شوال من عام ستة وعشرين وستمائة". وابن خطاب هذا - كما ذكر المراكشي (٢٣٨/٥) - "هو علي بن عبدالله بن يوسف بن خطاب المعافري الأشبيلي (...) واستقضى بأشبيلية وقتا (...) وتوفى نصف ليلة الأحد السابعة عشرة من ذي قعدة سنة تسع وعشرين وستمائة ".

وفي ورقة ٢٥ ب في حديث عمر بن الخطاب قال المؤلف: "قرأته على أبي عبدالله بن خلفون". وابن خلفون هذا هو "محمد بن إسماعيل بن محمد بن خلفون الأزدي، سكن أشبيلية (...) وكان من متقني صناعة الحديث متقدما في معرفته (...) وتوفى بأشبيلية يوم التروية وقيل في الوسط من ذي قعدة ست وثلاثين وستمائة" (الذيل والتكملة ١٢٨/٦

---

[2] الذيل والتكملة: ٢٨/١-٣٢ (بيروت ١٩٦٤) تحقيق محمد بن شريفة.

[3] المصدر نفسه: ٣٣/٦، تحقيق إحسان عباس.

[4] المصدر نفسه: ٢٢٢/٨-٢٣٢.

[5] المصدر نفسه: ٤٢١/٦-٤٢٥.

١٣١). وقد نقل مؤلف الكتاب كثيرا من كتاب **"التعريف بالصحابة الذين أخرج البخاري ومسلم عنهم"** وهو لابن خلفون.

من كل هذا يظهر أن مؤلف الكتاب عاش ودرس في أشبيلية، ثم كتب هذا الكتاب في سنين عديدة آخرها سنة ٦٢١ هجرية، ثم أضاف في نسخته ما سمعه من ابن خطاب في سنة ٦٢٦ هجرية، فيما بعد لأنه أكد في آخر كتابه على أن الناصر لدين الله العباسي **"هو الوالي ببغداد فيما بلغنا وهو عام إحدى وعشرين وستمائة"**، وهذا صحيح لأن الناصر لدين اللهالعباسي توفى سنة ٦٢٢ هجرية. ومن هنا يظهر أيضا أن مؤلف الكتاب هو أبو العباس أحمد بن رأس غنمة، وليس أبا الوليد إسماعيل بن رأس غنمة. فلعل اسم المؤلف كان مخروما أو مطموسا في النسخة الأصل الأولى لسبب أو لآخر فتواتر النقص في النسخ الذي نسخت فيما بعد.

مصادر كتاب ابن رأس غنمة:

لو أهملنا ذكر المصادر المشرقية المشهورة أمثال:

١) مروج الذهب للمسعودي الذي أقتبس منه في ٣٩ موضعا
٢) وتاريخ الطبري في ٩ مواضع
٣) والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني في ٦ مواضع
٤) وكتاب الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة في ٣ مواضع
٥) وتاريخ خليفة بن خياط في ١٠ مواضع
٦) وصحيح البخاري في ٨ مواضع
٧) ومصنف حماد بن سلمة في ٨ مواضع
٨) والموطأ لمالك في ١٣ موضعا
٩) وصحيح مسلم في ٣ مواضع
١٠) وكتاب الكامل للمبرد في ٢٠ موضعا
١١) وكتاب عيون الاخبار لابن قتيبة في ٨ مواضع وكتاب المعارف له في ٤ مواضع
١٢) ومن البيان والتبيين في ١١ موضعا

أو المصادر الأندلسية المشهورة أمثال:

١٣) العقد الفريد لابن عبد ربه في ٦٨ موضعا

فإن المؤلف ينقل من مصادر مشرقية وأندلسية ضائعة لا نعرفها إلا من الإشارات القليلة اليها مثل:

١٤) تاريخ نفطويه الذي نقل منه في ١٦ موضعا نصوصا طويلة
١٥) وكتاب أخبار أفريقية لعريب بن سعيد القرطبي في موضعين
١٦) وتاريخ الخلفاء لابن اللبان في ٣ مواضع

١٧) وتاريخ إسماعيل بن علي الخطبي في ٥ مواضع
١٨) وأخبار الخلفاء للمدائني في موضع واحد
١٩) وكتاب العروس لعلي بن أحمد بن كوثر المحاربي الغرناطي (ت ٥٨٩ هجرية) في موضع واحد
٢٠) وبستان الزهاد لمؤلف أندلسي أو مغربي لعله كتاب بستان العارفين لمحمد بن قاسم التميمي الفاسي (ت ٦٠٤ هجرية).
٢١) وكتاب الجواهر لعله لابن شاس عبد الله بن نجم الجذامي السعدي المالكي (ت ٦١٦ هجرية).
٢٢) وكتاب الأخبار المنثورة لأبي بكر الصولي (ت ٢٤٣ هجرية) في ١٥ موضعا
٢٣) وكتاب طارد الهموم للصولي أيضا في موضع واحد.

أو من مصادر لا نعرف منها الا أقساما وصلت إلينا مثل:

٢٤) مغازي موسى بن عقبة
٢٥) وكتاب الابتداء لعبد الملك بن حبيب (ت ٢٣٨) فلعل نسخة بودليان (١٢٧/٢ مارش ٢٨٨ ورقة ١-١٠٠ والمكتوبة سنة ٦٩٠) من هذا الكتاب، نقل منه في ١٠ مواضع.
٢٦) كتاب المغازي لابن وهب الذي نشر في هايدلبرج جزء منه، في موضع واحد.

أو مصادر لا نعرف عنها شيئا إطلاقا مثل:

٢٧) كتاب أنس الواحد في موضع واحد
٢٨) تاريخ الذهني في ٧ مواضع
٢٩) كتاب التأسي في ٧ مواضع
٣٠) كتاب الشاهد في التاريخ في ٣ مواضع

إضافة الى كل هذه المصادر فإن المؤلف ينقل من:

٣١) كتاب ابن خلفون في ٩ مواضع
٣٢) كتاب الواضحة في الفقه
٣٣) كتاب ملحمة دانيال
٣٤) كتاب حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني
٣٥) مصنف عبدالرزاق الصنعاني
٣٦) الجامع لمعمر بن راشد
٣٧) شرح الفصيح لابن خالوية
٣٨) كتاب المصابيح للبغوي
٣٩) كتاب حلم معاوية لمؤلف مجهول فلعله هو الذي ذكره المراكشي باسم "مصنف في أخبار معاوية" لابي القاسم بن البراق (ت ٥٩٦ هجرية) الأندلسي (الذيل والتكملة ٤٦٨/٦)
٤٠) الاستيعاب لابن عبد البر
٤١) كتاب الفصوص لصاعد بن الحسن الربعي (ت ٤١٩)

٤٢) التنبيه والاشراف للمسعودي
٤٣) الفاضل للمبرد
٤٤) سنن الدارقطني
٤٥) جامع الترمذي
٤٦) فوائد أبي بكر الرازي
٤٧) الزاهر لأبي بكر الأنباري
٤٨) زهر الآداب للحصري
٤٩) كتاب سبل الخيرات لابن الفلاس القرطبي (بروكلمان: الملحق ٥٩٣/١)
٥٠) تاريخ الدولابي
٥١) تاريخ الدوري
٥٢) شرح البخاري لابن بطال
٥٣) الجامع من مختصر المدونة لابن أبي زيد
٥٤) المدونة
٥٥) مسند ابن أبي شيبة
٥٦) مراتب الإجماع لابن جزم
٥٧) كتاب النوادر لأبي علي القالي
٥٨) الجمهرة في النسب لابن حزم
٥٩) شفاء الصدور للنقاش
٦٠) سيرة ابن إسحاق
٦١) المنتظم لابن الجوزي
٦٢) تاريخ المظفري للمظفر بالله أبي بكر محمد بن عبد الله بن مسلمة التجيبي أمير بطليوس (ت ٤٦٠)، وهو أهم كتاب أندلسي عند المؤلف فإنه ينقل منه في ٧٤ موضعا نصوصا طويلة.

وقد كان هذا الكتاب أيضا من مصادر ابن خلكان (وفيات ٣٥٢/٦) وابن حجر في الإصابة والسيوطي (الإتقان ٥٣ - القاهرة، ١٣٦٨ هجرية).

جاء في المغرب في حلي المغرب (٣٦٤/١ تحقيق شوقي ضيف): **"المظفر أبو بكر محمد بن منصور عبد الله الأفطس، ورث بطليوس عن أبيه، وكان قريع المعتضد بن عباد ومحاربه، وهو الذي صنف كتاب المظفري في الأدب والتاريخ نحو مائة مجلد"**. وهذا الكتاب لم يصل إلينا بعد.

أهمية الكتاب وقصد المؤلف:

لو قرأنا مقدمة كتاب ابن رأس غنمة لوحدها فإننا نفهم منها أنه أراد أن يكون كتابه في **"أيام العرب وأخبارهم وخطبها وأشعارها ونوادرها وآثارها، إذ الفصاحة موجودة فيهم والغريب من الكلام موقوف عليهم البديه من المقال صادر عنهم وراجع اليهم. فعلمت**

أن من سلمت قريحته وصحت نفسه وغريزته حريص على روايةأخبارهم وحفظ أشعارهم وتتبع آثارهم ليعمر بذلك مجلسا ان حضره، فيسمو لذلك عند من سمعه أو خبره إذ لا تعمر المجالس - بعد ذكر الله-بأمتع من الأشعار والأمثال وبما كان للعرب في أيامها من الأفعال والأقوال، أيام كان كلامهم حجة في الكلام من أشعارهم شاهدة على صحة اللغات مع الأيام".

ومن هذه المقدمة نفهم أنه أراد أن يكون كتابه في اللغة والادب دون التاريخ، بيد أن محتويات الكتاب مع احتوائها على نتف أدبية وطرائف شعرية شأنه في هذا شأن أي كتاب تاريخي آخر، لا تدل على أنه كتاب أدب أو كتاب مجالس أو نوادر أمثال الكامل للمبرد أو زهر الآداب للحصري أو العقدالفريد لابن عبدربه أو المعارف لابن قتيبة أو للثعالبي حيث لم يكن التاريخ السياسي هدفا للمؤلف فيها كما هو الأمر في مناقل الدرر ومنابت الزهر.

الظاهرة الغريبة في هذا الكتاب أن مؤلفه بالرغم من كونه أندلسيا أشبيليا فإنه اقتصر على تاريخ الأمويين بالشام، ولم يحاول ولو بكلمة واحدة أن يربط بينهم وبين أبناء عمومتهم الأمويين في الأندلس مع أنهم قد حكموا الأندلس زمنا أطول بكثير من حكم الأمويين المشارقة بالشام. فما هو السر في ذلك؟؟

لقد اعتذر ابن رأس غنمة في مقدمته من الاتهام بمحاباة الأمويين دون العباسيين: **"رغبة فيهم عن غيرهم وميل اليهم دون سواهم وتفضيل لهم على ما بعدهم من الدولة العباسية"** مما يدل على أن الاتجاه السياسي الذي كان سائدا في الأندلس والمغرب على أواخر عهد الموحدين كان اتجاها وميلا عباسيا إلى حد أن محمد بن يوسف بن هود - أحد ملوك الطوائف بسرقسطة - حين استولى في سنة ٥٢٥ هجرية على مرسية خطب للخليفة المستنصر العباسي[٦]. والظاهر أيضا أن كراهية الأمويين كانت سائدة أيضا بعد انتهاء دولتهم في الأندلس مباشرة، فقد روى صاحب كتاب المغرب في حلى المغرب (١/ ٦٠-٦١) أن أيوب بن سليمان الأموي كان يخدم ابن الحاج قاضي سرقسطة فمدح وزيرها، **"فتسبب له في إحسان من قبل الملك (أمير سرقسطة) على أن يرحل عن بلدهم فرارا من هذا النسب. فقال (الأموي): الحمد لله الذي أسعدنا به أولا وأشقانا به آخرا".**

ويروي صاحب كتاب المغرب أيضا أن هذا الأموي: **"نزل على بدوي في طريقه فأكرمه، وقد تخيّل أنه رسول من بعض ملوك الملثمين، فلما علم البدوي أنه من نبي أمية، هاج وأخذ رمحه وحلف أن لا يبقى له في منزل، فقال (الأموي) لغلامه: إذا سئلت عني فقل أنه من اليهود فإنه أمشى لحالنا"**[٧].

ومع اعتذار ابن رأس غنمة في مقدمته، فإن ميله للامويين واضح في الكتاب، فلا بد من القول أنه كان في الأندلس جماعة لم تزل تحن إلى عصر الأمويين الذهبي، فقصد ابن

---

[6] الناصري: الاستقصاء (الدار البيضاء ١٩٥٤) ٢/ ٢١٠.

[7] المغرب في حلي المغرب: ١/ ٦١.

رأس غنمة أن يذكّر أبناء الأندلس بصورة غير مباشرة بمجدهم الزائل بعد أن عمّت الفتن والحروب والمنازعات جميع بلاد الأندلس في الوقت الذي ألّف فيه كتابه، أو لعله قصد أن يزوّد الأندلسيين بمعلومات عن تاريخ المشرق وسد ثغرة في هذه المعلومات لقلة اهتمام مؤرخي الأندلس بتاريخ المشرق وبخاصة تاريخ الأمويين في الشام. وهنا تتجلى أهمية هذا الكتاب في موقعه بين تواريخ الأندلسيين أو المغرب عموما. وتتوضح أهمية الكتاب أيضا في معرفتنا بالمصادر التي كانت متداولة في القرن السادس للهجرة في الأندلس وشيوعها بين الدارسين، فقد ذكر أكثر من ستين مصدرا واقتبس منها نصوصا تمكننا هذه النصوص من معرفة طبيعة هذه الكتب أو قد تكمل بعضها ما وصل الينا ناقصا إضافة إلى النصوص التي أوردها مما لا نجدها في المصادر التي هي اليوم بين أيدينا[8].

[8] أقوم الآن بتحقيقه لنشره.